تناسب سورة الزّمر مع سور الحواميم *

أ. أحلام مصباح محمد أبو شعبان **

* تاريخ التسليم: 22/ 4/ 2014م، تاريخ القبول: 7/ 7/ 2014م.
** باحثة في مرحلة الدكتوراه/ كلية الشريعة/ جامعة دمشق/ سوريا.

ملخص:

تظهر أهمية هذا البحث من خلال الارتباط الوثيق بين سورة "الزمر" وسور الحواميم. فترتيبها في المصحف هو نفسه في النزول حيث تسبق الحواميم، وتتفق افتتاحيتها مع فاتحة "الأحقاف" و"الجاثية" في النظم، ومع باقي افتتاحيات الحواميم في ذكر الكتاب وأوصافه مع اختلاف في النظم، ويظهر التناسب واضحاً بين الأطراف، حيث ترتبط خاتمة "الزمر" مع بداية "غافر"، وخاتمة "غافر" مع بداية "فصلت"، وهكذا مع بقية الحواميم، وتتناسب خاتمة "الزمر" مع خواتيم الحواميم، ويتناسب مضمون وموضوعات سورة "الزمر" مع الحواميم. فما أُجمل في سورة "الزمر" فصّل في الحواميم، وما اختصر هناك بُسط هنا. وقد كانت منهجية البحث بأن يتناول تعريفاً بسورة "الزمر" والحواميم، ثم بيان المناسبة بينها. وأما النتائج فقد كانت نفس ما توقعت في بداية البحث، إذ اكتشفت ارتباطاً وثيقاً بين "الزمر" والحواميم من حيث ترتيبها وتناسب أسمائها، وافتتاحياتها، وخاتماتها، ومضموناتها، وموضوعاتها. وهذا التّشابه الكبير بين "الزمر" والحواميم كان المبرر لما وُجِدَ في مصحف أُبيّ بن كعب، أنّ الزمر تبدأ بـ "حم"، فكأنها أخت للحواميم.

The Conformity between Surat Al -Zumar and Surahs of AL -Hawamim

Abstract:

The importance of this study stems out from the close connection between Surat Al - Zumar and Al - Hawamim because it comes directly before these surahs and has the same order of revelation. Surat Al - zumar is similar to Al - Ahqaf and Al - Jathiya in both the introductions and order; it is similar to the rest of Al - Hawameem in their introductions in mentioning The Book and its characteristics but with some differences in the order. The coherence among the assigned surats is clear because the conclusion of Al - Zumar is similar to the introduction of Ghafer and the conclusion of Ghafer with the beginning of Fussilat and with the rest of Al - Hawameem; Surat Al - Zumar is similar to Al - Hawameem in the conclusion, the topics and contents. What is summarized in Al - Zumar is given in detail in Al - Hawameem and vice versa. In this paper, I tried to give an idea about Al - Zumar and Al - Hawameem and the connections between them. Finally, I discovered a close connection between Al - Zumar and Al - Hawameem in order, names, introductions, conclusions, content and topics. This close similarity between Al - Zumar and Al - Hawameem justifies what was found in one of the Quranic Versions owned by the Prophet's companion Obai Ibn Ka'b in which Surat Al - Zumar starts with the same alphabets Ha Mim similar to that of Al - Hawameem.

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على هديه بإحسان إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

لمّا كان اشتغالي في مرحلة الدكتوراه بدراسة المناسبات في سور الحواميم، لفت انتباهي ترتيب سورة الزمر قبل الحواميم في المصحف الشّريف، فترتيبها هو التّاسع والثّلاثون، فكانت بعد سورة (ص) وقبل سورة (غافر) ، وأيضًا ترتيبها في النزول، فهي السورة الثّامنة والخمسون، و نزلت بعد سورة (سبأ) وقبل سورة (غافر) [1] . كذلك لفت انتباهي ما ذكره السيوطي أنّ في مصحف أبي بن كعب: أول "الزمر" (حم) [2] ، وهذا إن دلّ على شيء فعلى أن هذه السّورة ترتبط ارتباطًا كبيرًا مع سور الحواميم، لذلك كانت هذه الدراسة المتواضعة لبيان ارتباط هذه السّورة مع سور الحواميم، ومعرفة سر هذا الترتيب الذي يدل على الوحدة الموضوعية بينها وبين الحواميم، وبعد البحث لم أجد كتبًا تتحدث عن هذا السّر سوى كتاب (الزّمر_ محمد وعلاقتهما بآل حم دراسة في أسرار البيان) ، ولكن الكاتب مع ذلك لم يذكر في كتابه هذا علاقة الزمر مع كل سورة من سور الحواميم، بل اكتفى ببيان مقصود سورة "الزّمر" مع مقصود الحواميم العام مع مقصود سورة محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وكان التركيز الأكبر على تفسير سورتي الزّمر ومحمد بصورة مستفيضة، وكشف ما بهما من أسرار البيان، وخلص في النهاية إلى أنّ "الزّمر" دعت الذين أنزل الله فيهم الكتاب إلى إخلاص العبادة، فعارضوا معارضة مُتعسِّفَةً ومتنوعة ألمَّت بها آل حم، وانتهى الأمر إلى الصّدام بين الفريقين كما هو في سورة محمد – صلى الله عليه وسلم – [3] ، وستتناول هذه الدراسة – بإذن الله – التناسب بين سورة "الزّمر" وسور الحواميم من جوانب عدّة.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مبحثين وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

- المبحث الأول: تعريف بسورة "الزّمر" والحواميم.
- المبحث الثاني: المناسبة بين سورة "الزّمر" وبين سور الحواميم.
- الخاتمة: وتتضمن أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.
- وأخيرًا – فهرست المصادر والمراجع.

المبحث الأول ـ تعريف بسورة الزمر والحواميم:

أولًا ـ تعريف بسورة "الزّمر":

سميت هذه السورة بـ (الزّمر) [4] : وبهذا الاسم ترجمها البخاري في صحيحه [5] ، والترمذي في جامعه [6] ، وبه سميت في جميع المصاحف. وقد سميت بهذا الاسم؛ لأنّ الله تعالى ذكر في خاتمتها زمرة السعداء من أهل الجنّة، وزمرة الأشقياء من أهل النار، وقد اختصت هذه السورة فقط بهذا اللفظ، كذلك سميت بـ (الغرف) [7] ، وسميت أيضًا بـ (التنزيل) [8] .

عدد آياتها: خمس وسبعون آية في الكوفي، وثلاث في الشّامي، واثنتان في عدد الباقين [9] .

زمن نزولها: اختلفت آراء العلماء في نزولها، فرأى الجمهور أنّها مكيّة خالصة، ورأى آخرون أنّها مكية باستثناء الآيات رقم 23، 53 – 60 [10] . ولكن انسجامها في السياق موضوعا وسبكا يسوغ الشك في ذلك.

فضلها: كان الرّسول – صلى الله عليه وسلم – يقرؤها كل ليلة هي وسورة الإسراء (بني إسرائيل) :

فعن عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – قالت: "كَانَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الزُّمَرَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ". [11]

أهم موضوعات السورة ومقصودها:

سورة "الزّمر" هي إحدى السّور المكيّة، فهي كأخواتها تتكلّم في التّوحيد، وإثبات البعث، والنّبوة، وقد ابتدأتْ بالحديث عن القرآن ومصدره، وبيّنت أنّ هذا القرآن هو الحق الذي لا مرية فيه، ولا يشوبه باطل، ونوهت إلى أثره في النفوس الطيبة، وامتازت أيضًا ببيان آيات الله الكونية وعظمتها، ومنها كيفية خلق الإنسان باعتبارها دليلاً وبرهاناً على وحدانية الله – عز وجل – وقدرته، وإثبات مبدأ الثّواب والعقاب. وحكت عن بعض عقائد المشركين وأقوالهم، وتحدّثت عن طبيعة النفس البشرية في سرّائها وضرّائها، كما بيّنت أحوال القيامة، وقد تخلل آيات السورة أمثال ومواعظ ومبادئ عامة، وختمت بالقضاء العدل بين الناس وتقسيمهم إلى فريقين، فريق الكافرين وفريق المؤمنين.

مقصودها: بالرجوع إلى أقوال العلماء في مقصود تلك السورة [12] نلاحظ أنّ هناك شبه اتفاق بين المفسرين على أنّ المحور الرئيس لهذه السّورة وجوب الإيمان بوحدانية الله

والإخلاص في عبادته، وأنّه صاحب الكمال والربوبية والحكمة المطلقة، حيث أنزل القرآن الكريم دستورًا كاملًا شاملًا لأمّة الإسلام، ويُدرك ذلك كلُّ من له عقل راجح وحكمةٌ بالغة.

ثانياً_ التعريف بالحواميم:

هي سبع سور من القرآن الكريم تبدأ بسورة "غافر"، وتنتهي بسورة "الأحقاف"، وتشترك جميعها في أنّها تفتتح بـــ (حم) ، ومن هنا صارت كالعائلة الواحدة فأطلق عليها آل حاميم، أو الحواميم. وجميعها نزل بمكة [13] . وهي تعنى بأصول العقيدة كسائر السور المكيّة، وتدور مقاصدها حول قضية الوحي والرسالة، وقضيّة العقيدة، وقضيّة الحقّ والباطل، وعرض آيات **الله** في الأنفس والآفاق، وعرض لمشاهد المكذّبين يوم القيامة. وقال أبو حيان (745هـ) عند تفسيره لسورة غافر: "وهذه الحواميم قاصرة على المواعظ والزجر وطرق الآخرة، وهي قصار لا تلحق فيها سآمة". [14] وهي مرتبَة في القرآن عَلَى تَرْتِيبِهَا فِي النُّزُولِ، وقد نزلت عقب الزمر، ونزلت متتاليات كترتيبها في المَصحف: غافر، ثم السجدَة، ثم الشورى، ثم الزخرف، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ولم يتخللها نزول غيرها. [15] وليس في كتاب **الله** تعالى سبع سور نزلت بالتأليف واحدة بعد الأخرى إلا الحواميم. [16] وتتماثل مطالع الحواميم في ذكر تنزيل الكتاب وأوصافه مع تفاوت المقادير في الطّول والقصر، وتشاكل الكلام في النظام، كما ذكر ذلك السيوطي نقلًا عن الكرماني في (العجائب) [17] ، وقد تضمنت الحواميم ذكر كثير من النّعم الإلهيّة؛ وذلك لاحتياج الدّعوة ـ وخاصة في عهدها المكي ـ من القرآن أن يُظهر عظمة الخالق المنعم، ويُذكّرهم بنعمه العظيمة، كما ذكرت شيئًا من قصص الأنبياء والأمم السّابقة، وكل موضع منها جاء في القرآن ثابتًا في مكانه، متناسبًا مع السياق والنظم الوارد فيه، مؤتلفًا مع النظم الذي سيق من أجله [18] ، وتوجهت في كثير من آياتها إلى خطاب الرّسول – صلى **الله** عليه وسلم – ، وتضمنت ذكر كثير من الصفات الإنسانيّة، وبالذات ما يتعلق بموقف الإنسان من القرآن الكريم، وكان لذكر المؤمنين وصفاتهم والكافرين ومواقفهم من الدّعوة والقرآن العدد الأكبر من آيات سور الحواميم، وخاصة ذكر الكافرين؛ لأن الدعوة آنذاك كانت في عهدها المكي، وعرضت كثيراً من مشاهد القيامة ترغيبًا بالجنّة ونعيمها، وترهيبًا من النار وعذابها، وتخللت هذه الموضوعات بعض القواعد الإيمانيّة التي تُبنى عليها النّفس المؤمنة، وبذلك تكون الحواميم بهذا التشاكل المتنوع روضات دمثات تتوق النفوس للتفيؤ في ظلالها، وتستلذ بقراءتها وتتبع محاسنها كما روي عن ابن مسعود – رضي **الله** عنه – أنّه قال: "إِذَا وَقَعَتُ فِي آلْ (حم) وَقَعْتُ فِي رَوْضَاتٍ [19] دَمِثَاتٍ [20] ، أَتَأَنَّقُ [21] فِيهِنَّ". [22] وقال أيضًا: "الحوامِيم ديباج القرآن" [23] . ويُقال أنّ السّور التي أولها (حم) سور لها شأن، وبالتالي ذكرها يدل على شرف منزلتها، لذلك يُستظهر بها على استنزال النصر من **الله** [24] ، والدليل

على ذلك ما رواه أبوعبيد في كتابه "فضائل القرآن"، حيث ذكر حديثًا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا المعنى يؤكد على ذلك. فقال: عن المهلب بن أبي صفرة [25] ، قال: حدثني من سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إن بُيِّتُم الليلةَ [26] فقولوا: حم لا ينصرون [27] ". [28] قال أبوعبيد: "فكأن المعنى اللهم لا ينصرون، يكون دعاء، ويكون جزاء، والمحدثون يقولون بالنون، وأما في الإعراب فبغير نون". [29] فكأن الله ينصرنا بإيماننا بما في هذه السور، وبما أفادتنا من الثقة بربنا، وأن النصر لا يكون إلا بالالتجاء إلى الله، وبذكره حتى في شعاراتنا.

المبحث الثاني ـ التناسب بين الزمر والحواميم:

تمهيد ـ تعريف علم التناسب:

التناسب لغة: النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب سُمّي لاتصاله وللاتصال به [30] . فتأتي على معنى الصِّلة والقرابة، أو بمعنى الطّريق المستقيم، سُمّي بذلك لاتصال بعضه ببعض، ومن معانيها أيضًا المُشاكلة والمُلاءمة، نقول تناسب الشيئان تشاكَلا أي تشابها، ويُقال ناسب الأمرُ فلانًا أي لاءَمه ووافق مزاجه [31] .

التناسب في الاصطلاح: هو علمٌ تُعرفُ منه علَلُ التّرتيب [32] ، وهو أعمّ من مناسبات القرآن وغيره [33] . وعلم مناسبات القرآن: علمٌ تُعرَفُ منه عِللُ ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادةُ فيه على معرفة مقصود السّورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها [34] . والمناسبة في كتاب الله: وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها، وارتباط السورة بما قبلها وما بعدها [35] . وعرّفه ابن العربي في "سراج المريدين" بقوله: "إنه ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتّى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، منتظمة المباني [36] . وقد عبّر عنه الإمام عبد الحميد الفراهي بـــ (نظام القرآن) [37] ، وبعضهم يبحثه تحت ما يسمى بـ (الوحدة الموضوعيّة) [38] .

أولًا ـ التناسب في الأسماء:

وهذا أمر دقيق جدًا؛ إذ إنّه يجمع عَصَب السّورة كلَّه في اسمها، فكأن هذا الاسم (شيفرة) لبنيانها كلِّه! ، نلاحظ التناسب بين اسم سورة الزمر وبين أسماء سور الحواميم، فاسم غافر جاء بصيغة اسم الفاعل الذي يدل على إرادة الحدث، والمعنى هنا: إنّ عملية ستر الذنوب جارية إلى يوم القيامة بشرط الاستغفار والإنابة إلى الله تعالى، فيدخلون في الآخرة زمرًا، وفصّلت بصيغة (فعّل) تدل على التكثير والتكرير والتفصيل؛ لأنّ الله تعالى

فصّل فيها الآيات، وأوضح البراهين والأدلة على وجوده ووحدانيته وقدرته، وخلقه لهذا الكون العظيم وتصرفه فيه، فمن أخذ بهذه الدلائل وآمن بها يكون في زمرة المؤمنين، ومن لم يتعظ بها يكون من زمرة الكافرين. وتأتي بعدها سورة الشّورى، فجاء اسم الشّورى ليبين أهميّة الشّورى في الإسلام، وحث المسلمين عليها، فالوحدة وتطبيق مبدأ الشورى في كل أمور الحياة يحمي الإنسان والمجتمع من الفرقة، وبالتّالي فالذين استجابوا لربهم وأمرهم شورى بينهم هم من زمرة السعداء في الجنان، والزخرف قد سميت بهذا الاسم لاشتمالها على وصف متاع الدنيا الزائل وبريقها الخادع بالزخرف اللامع، أي الذّهب، ومقارنته بنعيم الآخرة الدّائم، فمن انخدع بالمظاهر المادية الدنيوية سيضيع، وتكون نهايته مع زمرة الأشقياء في الآخرة الذين يدخلون النار، وسيضيع عنهم الزخرف الحقيقي الذي تتمتع به زمرة السعداء في الآخرة، والدّخان وسمّيت بهذا الاسم لوقوع لفظ الدخان فيها، حيث جعله **الله** تعالى آية لتهديد المشركين، وتخويفهم في الماضي بالقحط والمجاعة، بسبب تكذيبهم للرسول، فبعث **الله** عليهم الدّخان حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخانًا من الجوع [39] ، وكاد **الله** تعالى يُهلكهم، ولكنّه نَجَّاهُم منه ببركة دعاء الرسول، فكان تأييدًا له – صلى **الله** عليه وسلم – . كذلك جعله **الله** تعالى أمارة من أمارات السّاعة، ففيه تهديد للأجيال المقبلة بظهور الدّخان في السماء [40] . فجاءت هذه السّورة تهدد وتُحذّر المشركين من الشرك والطغيان حتى لا يُحشروا مع زمرة الأشقياء، وتكون نهايتهم الخلود في نار جهنّم، والجاثية سمّيت بذلك لشدة ما يلقى الناس من أهوال يوم الحساب، حيث تجثو الخلائق على ركبهم ذليلة من الخوف والفزع في انتظار الحساب، وبالتالي ففي هذه السّورة تحذير العباد من التّكبر في الأرض كي لا يكونوا مع زمرة الأشرار الذين يُساقون إلى جهنّم، وسورة الأحقاف سمّيت بهذا الاسم نسبة إلى الأحقاف من أرض اليمن، وهي مساكن عاد الذين أهلكهم **الله** تعالى بطغيانهم، ففي السورة تحذير لمن لم يستجب لداعي **الله** تعالى ويهتدي بهديه (كأصحاب الأحقاف) ، حتى لايكون مع زمرة الأشقياء.

ثانيًا ـ التناسب في الافتتاحيات:

افتتحت سورة الزّمر بقوله تعالى: ﴿**تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ الزمر: 1، وهذا المطلع يتماثل مع مطالع الحواميم في ذكر تنزيل الكتاب وأوصافه مع اختلاف في النّظم وعلى سبيل التحديد لتلك الأوصاف. وغالبًا ما يقترن الوصف المستند إلى المرسل بذكر الصّفات الإلهية ودلائل القدرة، أو تأتي صفات مباشرة له، أو يستمد صفاته من خلال المخاطبين. ويؤكد ذلك قول السيوطي [41] : "وجه إيلاء الحواميم السبع سورة الزمر: تآخي المطالع في الافتتاح بتنزيل الكتاب"، ففي سورة الزمر ابتدأت بلفظة (تنزيل) وهو المصدر المشتق من (نَزَّلَ) الذي يفيد التّكثير والمبالغة غالبًا، والذي من مقتضياته استغراق وقت

أطول، وإنّه يفيد تلبثًا ومكثًا [42] ، كذلك لفظ (نزل) يفيد التكرار لأجل التضعيف، ويُشير إلى أنّ المنزَّل لم ينزل دفعة واحدة، بل ينزل مفصَّلًا ومنجمًا بحسب الدّواعي [43] ، كذلك يفيد التوكيد؛ لأنّ ما استعمل فيه (نزّل) أهم وآكد مما استعمل فيه (أنزل) [44] ؛ ولهذه المعاني جميعها استعمل المصدر (تنزيل) في هذه السّورة وفي سور الحواميم لأنهن مكيّات، فهي تؤكد للمنكرين_ وهم كُثر_ أنّ هذا القرآن الكريم هو من عند الله تعالى، ولكي ترد على هؤلاء المنكرين الطّاعنين الذين قالوا: ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**﴾ الفرقان: 32 [45] . فأخذ الكتاب هنا صفاته من صفات منزله (العزيز الحكيم) ، وترك العطف بين العزيز والحكيم لتناسب معاني تلك الأسماء وقرب بعضها من بعض، وشعور الذهن بالثاني منها شعوره بالأول، فإذا شعرت بصفة العزة ينتقل الذهن منها إلى الحكمة والعكس صحيح [46] ، فالقرآن عزيز غالب بالحجة للمكذبين به، وغالب بالفضل على سواه من الكتب، وغالب ومعجز لبلغاء العرب عن معارضة ولو آية منه، كذلك هو حكيم، فهو موصوف بالحكمة، وهو حاكم على غيره من الكتب السماوية بما فيه من البيان والتفصيل، وهو حاكم على معارضيه بالحجة، إضافة إلى أنه محكم متقن [47]. وكذلك افتتحت سورة غافر بافتتاح يُماثل افتتاح سورة الزمر وهو، بيان مصدر التنزيل بقوله تعالى: ﴿**حم، تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ غافر: 1 – 2، فأخذ الكتاب هنا صفته أيضًا من صفات منزله (العزيز العليم) ، ولعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الإعجاز وأنواع العلم الدالين على القدرة الكاملة والعلم البالغ. [48] وصفة العلم تتناسب مع الحكمة، فهي تحتاج إلى علم بالغ. وكذلك افتتحت سورة فصّلت أيضًا ببيان مصدر التنزيل وجاء بصفتي (الرحمن الرحيم) . وقد استمد القرآن هنا صفته من هاتين الصفتين فهو رحمة من الله تعالى لعباده ليخرجهم من الظلمات إلى النّور، ثم أتى بصفتين للقرآن، أولاهما: أنّه كتاب منزل من عند الله تعالى صفته فصلت آياته، والثانية: أنّه جاء بلغة عربية، ثمّ استمد صفته من حال المخاطبين بأنه بشيرٌ ونذيرٌ، فهو بشير لمن اتبعه، ونذير لمن أعرض عنه. وجميع هذه الصفات تتناسب مع صفتي (العزيز الحكيم) ، كذلك وُصف الكتاب في هذه السّورة بأنّه عزيز حكيم آية [41] ، وهذا يتناسب مع افتتاحية سورة "الزمر" فالكتاب العزيز الحكيم أنزله العزيز الحكيم. كذلك افتتحت سورة الشّورى فرمزت إلى التنزيل ووصفته بالوحي فاشترك بهذه الصفة مع الكتب السماوية الأخرى، فهو امتداد لما أُنزل على النّبيين من قبل بقوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ الشورى: 3، ثم ذكر في الآية (4،5) صفات له سبحانه فهو (العلي العظيم) ، وهو (الغفور الرحيم) ، وبذلك يعرف العباد ربهم بشتّى صفاته العظيمة الجليلة، فيعرفون عظمة وجلال القرآن الكريم بصفاته المتعددة.

وافتتحت سورة الزّخرف في الآيات (1 – 4) بالقسم في الكتاب، ووصفته بأنه (مبين) ، وبأنه قرآنٌ عربيٌّ وبينت عظمة منزلته عند الله تعالى، فهو (علي حكيم) .

وافتتحت سورة الدّخان بالقسم في الكتاب أيضًا، ثمّ وصفته بأنه (مبين) ، وبأنه أنزل في ليلة مباركة، فما بال الكتاب الذي أنزل فيها، كما وصفته بأنه أنزل للإنذار، وقد استمد هذه الصفة من صفة المرسل وقد استعمل هنا الفعل (أنزل) دون (نزّل) ، وذلك لأن الإنزال هنا كان عامًّا، وهذا يتناسب مع نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، أمّا لفظ (نزّل) فلا يناسب ذكره في هذا السياق؛ لأنه يدل على التدرج والتكرار [49] ، كذلك وصفه بأنه أنزل رحمة للعباد بقوله تعالى: ﴿**حم× وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ× إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ× فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ× أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ× رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ الدخان: 1 – 6.

وافتتحت سورة الجاثية والأحقاف بما يُماثل افتتاح سورة الزمر، وذلك بذكر مصدر التنزيل بقوله تعالى: ﴿**حم× تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ الجاثية: 1 – 2. وفي سورة الأحقاف بقوله تعالى: ﴿**حم× تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ الأحقاف: 1 – 2. وهكذا كان التماثل بين افتتاحيات كلّ من الزمر والحواميم، وبيّنت بعض صفات القرآن الكريم الذي استمد هذه الصفات من صفات الله الذي أنزله على النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – وهذه الصفات عندما تُقرن بالنزول القرآني تمنحه صفات القدسية والتعظيم، والتماثل اللفظي بين بداية سورة الزمر وبين بداية سورتي الجاثية والأحقاف لتدل على الوحدة الموضوعية بين سورة الزمر وبين الحواميم.

ثالثًا ـ التناسب بين الأطراف [50] :

ويقصد به التناسب بين آخر السورة ومطلع التي تليها [51] .

التناسب بين خاتمة هذه السورة ومطلع سورة غافر: فقد ذكر في نهاية سورة الزمر آثار عزة الله تعالى وقهره من خلال النفخ في الصور للصعق ثم نفخة القيام والجزاء، ومصير الكفار الأشقياء والمتقين السعداء، وافتتحت سورة غافر بوصف اللّه بالعزة والعلم فناسب هذان الاسمان العظيمان ما سبق في سورة الزمر، وذكر أن الله غافر الذنب لحث الكافر على الإيمان وترك الكفر، وذكر شدة عقابه ليرتدع الكافر عما هو فيه، وأن مصيره إلى ربه فيجازيه بما يعمل. [52]

التناسب بين خاتمة سورة غافر ومطلع سورة فصّلت: ختمت سورة غافر بالحديث عن مصارع المكذبين والمجادلين بآيات الله والطغاة المتجبرين، ومشهد العذاب يأخذهم

وهم غافلون، وابتدأت سورة فصلت بالحديث عن القرآن المنزل من عند الرحمن بالحجج الواضحة والبراهين الساطعة الدّالة على صدق محمد – صلى الله عليه وسلم – ، فهو المعجزة الخالدة للنبي، وهو الآية العظيمة التي تُحديت بها العرب، وقامت بها حجة الله – سبحانه – على الخلق، وكأنه قد قيل لهم: احذروا ما قدم لكم، فقد جاءكم محمد بأوضح آية وأعظم برهان. (53)

التناسب بين خاتمة سورة فصّلت ومطلع سورة الشّورى: أنّ الله تعالى في ختام سورة فصلت يخاطب نبيه، فيقول: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾52﴿، ويقصد القرآن الكريم، أثبت في افتتاح سورة الشّورى أن الله أوحى إلى نبيه كما أوحى إلى الأنبياء من قبله ﴿**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾3﴿، فهو ردّ على كفر المشركين بالقرآن، وإثبات أنهم في ضلال بعيد (54) .

التناسب بين خاتمة سورة الشّورى ومطلع سورة الزّخرف: ختم الله تعالى سورة الشورى بقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾52﴿. أما في سورة الزخرف فذكر أنه جعل هذا القرآن عربيًا؛ وذلك ليعقله قومه، ويفهموا ما فيه من أحكام وتشريعات، وأردف ذلك بذكر سعة عفوه، وجميل إحسانه إلى عباده، فقد أنزل عليهم القرآن بالرغم من إشراكهم به، ولم يهملهم قال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ× وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ×أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ**﴾ 3 – 5 (55) .

التناسب بين خاتمة سورة الزّخرف ومطلع سورة الدّخان: ختمت سورة الزّخرف بالتّهديد والوعيد في قوله تعالى: ﴿**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**﴾ 83﴿ ، فذكر يوما غير معيّن، ولا موصوفًا، ثم بيّن وصفه ونوعه في سورة الدّخان في القسم الأول منها، حيث أنذر تعالى المشركين في قوله: ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ**﴾ 10﴿، فبيّن أن العذاب يكون من قبله، وهذا العذاب إمّا يكون في الدنيا فيحل بهم القحط والجدب، وإمّا في الآخرة فيكون يومهم الذي يُوعدون به (56) .

التناسب بين خاتمة سورة الدّخان ومطلع سورة الجاثية: أنّ الله تعالى ختم سورة "الدّخان" بقوله: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ 58﴿، وبدأ تعالى سورة "الجاثية" بذكر القرآن الكريم، وأنّ الله العزيز الحكيم منزله، قال تعالى: ﴿**حم× تَنزِيلُ**

الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ 1 – 2، فمن حكمته أن جعله عربيّاً حتى يتدبروا آياته – وهم زعماء البيان – فيعترفوا بفصاحته، والعجز عن معارضته، وتلك مناسبة ظاهرة [57].

التناسب بين خاتمة سورة الجاثية ومطلع سورة الأحقاف: خُتمت سورة الجاثية بصفتي (العزيز الحكيم) ، وفُتحت سورة "الأحقاف" بهما أيضًا [58] .

رابعًا ـ التناسب في الخواتيم:

ويُقصد به التناسب بين خاتمة الزمر وخواتيم سور الحواميم، قال تعالى في خواتيم سورة الزمر: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ× وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** الزمر: 74 – 75 ، فتكون حرفة المؤمنين التحميد والثناء حبًّا وتقربًّا إلى **الله** تعالى لا تكليفًا، وكان حمدهم خالصًا **لله** تعالى من حيث هو رب العالمين، فهو المستحق بالحمد والشكر لا من أجل ذلك القضاء ووصول النعمة للمتقين، وبذلك يكونون قد وصلوا إلى أعلى مراتب التوحيد، وبهذا يلتقون مع الملائكة المقربين ـ الذين يحمدون **الله** تعالى ويُسبحونه حبًّا به لا تكليفًا ـ في حرفتهم التحميد والتسبيح، لذلك ذكرهم **الله** تعالى نظيرًا لهؤلاء المتقين، حيث إنّ جوانب الجنة ملاصقة لجوانب العرش، فخلط حمد هؤلاء المتقين وتسبيحهم بحمد الملائكة المقربين، وأصبحت ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** من صفة أهل الجنة. [59] وهذا الحمد من أرفع صور إخلاص العبادة **لله** تعالى التي ابتدأت بها سورة الزمر. وهذه الخاتمة تتناسب مع خاتمة سورة "غافر" التي خُتمت ببيان حال المجادلين في آيات **الله**، الذين لم ينفعهم النظر والاستدلال في الإيمان **بالله** تعالى وعبادته، وبالتالي لم ينفعهم إيمانهم حينما عاينوا بأس **الله**، وهذه سنة **الله** الثابتة التي جرت على أن التوبة لا تُقبل حين ظهور بأس **الله**، فبيّنت هذه الخاتمة نتيجة مجادلة أهل الباطل التي صُرفت عن إخلاص العبادة **لله**، حيث قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ× فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ× فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ× فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾** غافر: 82 – 85، كذلك تتناسب خاتمة الزمر مع خاتمة "فصّلت"، فبعد أن كشفت السورة زيف حجج المشركين، وفصلت مجادلتهم بالباطل، وردّت عليهم بدحض هذه الحجج، وبيّنت أنّ قلوبهم في أكنّة، وفي آذانهم وقر، وأنّ بينهم وبين الحق حجابًا، ختم – سبحانه وتعالى – السورة

بوعيد شديد يبين السبب في عناد هؤلاء المشركين، وإصرارهم على كفرهم واستكبارهم، وحقيقة أمرهم بعد كل ما تقدم من حججٍ وبيّنات، فالسّبب هو إنكارهم للبعث وشكهم في لقاء ربهم، لذلك توعدهم ربهم بأنه بكل شيءٍ محيط فيجازيهم على كفرهم ومريتهم. وبهذا الختام الرائع لتلك السورة الذي احتوى على أمر وإنذار وتقريع، ألزم الله تعالى الحجة على الكافرين الذين صُرفوا عن إخلاص العبادة لله تعالى، ورد كيدهم في نحورهم، وبين أن الزمن كفيل ببيان صدق الآيات، وأنهم على خطأ فيما ذهبوا إليه. كذلك تتناسب خاتمة الزمر مع خاتمة "الشّورى" التي تُبيّن خصائص القرآن، وأنّه هو الحياة والعدل والنور الذي يضيء دربنا في هذه الحياة، وتبدأ بقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ×صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ الشورى: 52 – 53، فجاءت بالوعد بالنعيم لمن سلك الطّريق المستقيم طريق القرآن والإسلام، وبالوعيد بالجحيم لمن حاد عن الطريق المستقيم، وتبين حقيقة الوحي والرسالة التي تدور حولها السورة، حيث يكشف الله تعالى في هذه الآيات عن طبيعة هذا الوحي الذي أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – ، هذا الروح، هذا الكتاب، إنه نور يهدي به الناس في ظلمات الحياة وذلك بمشيئته سبحانه، ثمّ تنتهي السورة بختام ما احتوت عليه من المجادلة والاحتجاج بالتهديد والوعيد للمعرضين والمنكرين، والتبشير والوعد للمهتدين الطائعين، حيث قال تعالى: ﴿**أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾ الشّورى: 53. فكأن هذه السورة بهذا تنادي البشر بأن يتبعوا الإسلام الذي هو صراط الله تعالى، المالك الحق للسماوات والأرض، فهو طريق الهداية، وهذا النّور الذي يهدي به الله عباده ليسيروا فيه هو طريق العباد المخلصين في عبادتهم لله تعالى، وهو الطريق الذي وعد الله به هؤلاء المخلصين ليتبوّؤوا من الجنة ونعيمها ﴿**فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ الزمر: 74، وجاءت سورة "الزخرف" التي كان فيها الكفار المشركون هم موضوع الكلام، فقد تقدّم في أول السورة التعجب من ادّعاء المشركين أنّ لله ولدًا، وأنّ الملائكة بنات الله، وأنّ عبادتهم لهم هي بمشيئة الله تعالى، ولكن الله بيّن جهلهم ونفى أن يكون لهم دليل على مزاعمهم الباطلة هذه، وأفحمهم بردود قوية تُبطل هذه المزاعم وتردّها، وبيّن أحوال هؤلاء الكفرة المجرمين في الآخرة، لذلك جاءت الخاتمة قوية لموقف اللجاج والحجاج، فبعد كل هذا البيان والقوة لا يزال المشركون على موقفهم في عدم الإيمان، وقد تضمنت هذه الخاتمة أيضًا تطمينًا للنبي – صلى الله عليه وسلم – ، وبيان أن مهمته هي تبليغ دعوة الله دون الإجبار، وفي نفس الوقت تضمنت الوعيد لهؤلاء المشركين. فجاءت الخاتمة تُخاطب النّبي – صلى الله عليه وسلم – بتركهم والإعراض عنهم، وتهديدهم بأنّهم سيعلمون حقيقة ما يدعون إليه،

ويعلمون صدق ما يعدهم به الله من عذاب شديد، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ× فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الزخرف: 88 – 89، وأنهى السورة كلها بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ التي تحمل التّهديد والوعيد للمشركين، والبشارة بالنصر والتّمكين للرسول – صلى الله عليه وسلم – ، ولهذا الدّين العظيم وأتباعه المُخلصين منهم الذين﴿قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الزمر: 74، وتُؤكد أن دعوته هي دعوة الحقّ، وأن الله تعالى سيُظهر هذا الدّين فيدخله الناس أفواجًا، وتحقق وعد الله فدخل في هذا الدين من كان يقف ضده، ويعمل على محاربته، ويقف مواقف عنيدة أثارت في نفس النبي – صلى الله عليه وسلم – الحسرة والحزن، نتيجة إخلاص العبادة لله تعالى. وهكذا جاءت الخاتمة متناسقة مع خاتمة سورة الزمر، كذلك تتناسق مع خاتمة سورة الدخان التي تتحدث عن القرآن الكريم، وإنذار الله تعالى لمشركي مكة بالعذاب الشديد بسبب تكذيبهم به، واستكبارهم وكفرهم وشركهم بمُنزّله، ثمّ بعد ذلك جاءت الخاتمة تصف الكتاب الكريم بصفة اليُسر أي تيسير القرآن بالفهم؛ لغرض التّذكر حتى يُؤمنوا ولكنهم لا يُؤمنون، حيث قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الدّخان: 58، ثمّ أنهى السورة بخطاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالارتقاب بالنصر وبهلاك المشركين من تهديد موجز شديد، حيث قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ الدّخان: 59، فجاء هذا التهديد يُخوف أهل الباطل الذين صُرفوا عن إخلاص العبادة لله تعالى، ويُبيّن لهم أنهم محرومون من ميراث أرض الجنة والتنعم بها.

وجاءت خاتمة سورة "الجاثية" فأجملت خاتمة الزمر، حيث قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ×وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الجاثية: 36 – 37. ثمّ جاءت خاتمة سورة "الأحقاف" في آية واحدة تُوجّه الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الصّبر وعدم الاستعجال للمشركين بالعذاب، وفي الوقت نفسه تُنذر المشركين بالعذاب والهلاك، وتُبين أنّه لا يُهلك إلّا الخارجون عن أمر الله تعالى، وعن الاتعاظ بالقرآن الكريم والعمل بموجبه، والذين يصدون عن سبيل الله، والذين تجاهلوا النّذر وكل من سار على دربهم، كما جاءت سلوىً وطمأنةً للرسول – صلى الله عليه وسلم – وللمؤمنين من بعده ولكل دعاة الخير بأن النجاة والنصرة هي لهم، فهي تؤكد حسن عاقبة المؤمنين مما يُقوي عزائمهم على الصبر على أعدائهم، وعلى تحمّل طريق الدعوة المحفوف بالأشواك والمصاعب، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الأحقاف: 35، وهذا يتناسب مع خاتمة الزمر التي تُبيّن حسن عاقبة المؤمنين الذين أخلصوا عبادتهم لله تعالى.

خامسًا ـ التناسب في المضمون والموضوع:

ويُقصد بها التناسب بين مضمون سورة الزّمر ومواضيعها مع مضمون سور الحواميم ومواضيعها، حيث تتشابه سورة الزّمر مع سور الحواميم في الغايات الكبرى التي يستهدفها القرآن: وهي إثبات وحدانية الله من خلال بيان أدلة القدرة الإلهية في خلق السماوات والأرض، ومناقشة المشركين في عقائدهم الفاسدة، وتقديم الأدلة من الأنفس والكون، وضرب الأمثال من مصائر الأمم الغابرة التي أهلكها الله لتكذيبهم الرسل. كذلك إثبات وتأكيد نزول الوحي بالكتاب العزيز على قلب النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وأنّه لا دخل له في الوحي، فهو لا ينطق عن الهوى، بل يتبع ما يُوحى إليه لذلك تكرر توجيه الخطاب للرسول – صلى الله عليه وسلم – بالفعل" قل" في سورة الزّمر (13) مرة، وفي سور الحواميم جميعها (13) مرّة أيضًا [60] ، وهذا لا يدل إلا على التشابه فيما وراءه من المعنى والموضوع؛ والأمر في الواقع هكذا، فإن الموضوع في كلتا السورتين جد متقارب وإثبات الساعة (يوم القيامة) ، كذلك تتشابه في ذكر كل منهما أحوال يوم القيامة وأحوال الكفار في يوم المحشر، وفي كلٍّ منهم أيضًا ترغيب المؤمنين بالاستقامة المؤدية إلى الجنة ونعيمها، وتحذير الكافرين من الانحراف أو الإعراض عن هداية الله المؤدي إلى النار وأهوالها. وبذلك يتضح أن موضوعات سورة الزّمر تشابه موضوعات سور الحواميم، ولكن باختلاف الأسلوب وطريقة السّياق، وقد اتفقت بعض الآيات أو معانيها، فما أجمل في سورة الزّمر فُصّل في سور الحواميم، وما اختصر فيها بُسط في سور الحواميم [61] ، وهذا ما بيّنته سورة الزّمر نفسها في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ الزّمر: 23، فمعنى قوله ﴿**مُتَشَابِهًا**﴾ أي: يشبهُ بعضه بعضًا، و ﴿**مَّثَانِيَ**﴾، ثنيت موضوعاته مرة بعد مرة [62] ، فتشابه المواضيع في سورة الزمر وسور الحواميم المجاورة لها يدل على وحدة الموضوع الذي تدور حوله آيات هذه السور، والهدف العام الذي تقصده، وشدة ارتباط السور ببعضها بعضاً. وسنرى بإذن الله من خلال هذه الدراسة المتواضعة مدى ارتباط "الزمر" مع "الحواميم" من ناحية المضمون والموضوع:

فقد ابتدأت سورة "الزمر" بالكلام عن مصدر القرآن الكريم، كذلك تحدثت افتتاحيات سور الحواميم عن القرآن ومصدره كما ذكر سابقًا، ثم تحدثت سورة "الزمر" عن الأمر

بالعبادة الخالصة لله وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ**﴾ 2 ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾3﴿، ﴿**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ**﴾54﴿، وفي سور الحواميم أمر بالإخلاص بالعبادة في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾14﴿، ﴿**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾65 ﴿**قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾66﴿، وفصّل العبادة الخالصة في سورة فصلت حيث أمر بالاستقامة في الآية السادسة، ثمّ بيّن ثوابها في نفس السورة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾30﴿**نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾31﴿**نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾32﴿، وبيّن جزاء العاملين في سورة الشّورى في آية (22 – 26) ، وصفات المستجيبين لربهم في آية (37 – 39) ، وفي سورة الزخرف أمر بالاستمساك بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾43﴿، وفي سورة الجاثية أمر باتباع شريعة القرآن في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾18﴿.

× ورد أيضًا في سورة "الزمر" ما يدل على نعم وعظمة **الله** وكمال قدرته ووحدانيته في قوله تعالى: ﴿**وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾4﴿**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾5﴿**تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ**﴾6﴿ وكذلك قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾12﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾13﴿، كذلك تضمنت سور الحواميم ذكر النعم الكثيرة التي تُظهر عظمة الخالق المنعم، فنجد في سورة غافر أنّ **الله** تعالى قد جمع فيها نعمه (آياته) التي تُحيي الأديان والتي تحيي الأبدان (وينزل لكم من السماء رزقًا) ، وقصر التذكر فيها على المنيبين حيث قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ**﴾13﴿، وفي قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ**

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾61﴿ ذكر نعمة تسخير الليل لنا للسكن فيه بعد عناء العمل وجهده، وتسخير النهار لنبصر فيه ونطلب الرزق والفضل من **الله**، وكذلك في الآية (62 – 65) فقد أكّد فيها أنّ **الله** هو الخالق لكل شيء، ثمّ أكّد فيها على أنّه سبحانه أنعم على الإنسان بأن جعل له الأرض قرارًا والسّماء بناءً، ثمّ أظهر نعمة **الله** في خلق الإنسان حيث صوّره بأحسن صورة، ورزقه من الطيّبات، ثمّ ذكر كلمة التوحيد وما يُناسبها من إخلاص الدين له، ثمّ استكمل الآية بما يجب على الإنسان أن يفعله وهو الحمد والشكر للخالق المنعم بعد التوحيد والطاعة الكاملة، ثمّ بعد ذلك ذكر نعمة خلق الإنسان بكل مراحلها في آية (67 – 78) ، ثمّ ذكر في آية (79 – 80) نعمة تسخير **الله** تعالى الأنعام لعباده، وتذليلها لهم للتنقل عليها وعلى الفلك، وكذلك نعمة الأكل من الأنعام. وفي سورة "فصّلت" ذكر **الله** تعالى في آية (9 – 12) مظاهر قدرته التي تثبت له الوحدانية، وتنفي عنه الشراكة وتؤنب المشركين على شركهم، وذكر كيفية تكوين الأرض والسماء الدال على قدرة **الله** تعالى، ثمّ وجّه القلب في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾37﴿ إلى الآيات الكونية التي تُوقظه من غفلته، وتدعوه إلى التوحيد وإخلاص العبادة له سبحانه، ونهى عن السجود لمخلوقاته، فلا سجود إلا للخالق العظيم، ثم بعد ذلك انتقل السياق إلى عرض بعض الأحوال الأرضية في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾39﴿، وسورة "الشورى" أيضًا حوت نعمًا أخرى، فقد ذكر التعبير القرآني في الآية (12،11) نعمة تتمثل بحاجة الإنسان والأنعام إلى من يشاركه الحياة في هذه الدنيا، فخلق الذكر منها والأنثى للتواصل والاستمرار، ثمّ نعمة بسط الرزق لمن يشاء **الله** أن يرزقه ويقدر، ثمّ ذكر في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾19﴿ لأنه القوي القادر على رزق عباده جميعًا، ولأنّه العزيز الذي لا يغلب على ما يُريد، ثمّ امتنّ **الله** تعالى على عباده بنعمة أخرى في إقامة الدين، وهي نعمة روحية حيث قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**﴾13﴿، ثم ذكر نعمة إنزال المطر آية (27، 28) ، ثمّ ذكر نعمة خلق السماوات والأرض في آية (29) وزاد دليلًا آخر من دلائل قدرته على الخلق قوله تعالى: ﴿**وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ**﴾، كذلك ذكر في آية (32 – 34) نعمة تسخير السفن والبحر والرياح، وهي من آيات **الله** ودلائل قدرته، وذكر

في الآيات (49 – 50) نعمة الذرية وهي استكمال لبسط الرزق وقبضه، فهي رزق من عند الله تعالى. وفي سورة "الزخرف" ذكر نعمة الأرض، كيف أنّ الله تعالى جعلها ممهدة للسير والزرع والحياة في الآية (10) ، وذكر إنزال الماء من السماء مرة أخرى في الآية (11) كما ذكرها في غافر، كما ذكر نعمة خلق الأزواج كلّها، ونعمة تسخير الأنعام والفلك للإنسان في الآيات (12 – 14) بنظم يختلف عما جاء في سورة غافر في الآيتين (79 – 80) ، وأضاف هنا في سورة الزخرف ما يجب على الإنسان أن يقوله عند شكره لله المنعم، ويتذكر أن هذه الدنيا عبارة عن رحلة يعود بعدها الإنسان إلى ربه. وفي سورة "الدخان" ذكر نعمة إنزال القرآن في ليلة مباركة، ونعمة إرسال الرسل وإنزال الكتب معهم رحمة من الله السميع العليم الذي هو رب السماوات والأرض في الآيات (3 – 7) ، كذلك في سورة "الجاثية" في الآيات (3 – 5) ، فقد ذكرت آيات الله ودلائل قدرته في السماوات والأرض على سبيل الإجمال، ثمّ فصّلت بعض هذه الآيات فابتدأ بالأعجب والأقرب إلى المخاطبين وهي نعمة الخلق في ﴿**خَلْقُكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ**﴾، **ثم ذكر بعض آياته العلوية في**﴿**اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ**﴾ **واستكمل بما يدل على قدرته في البعث والنشور بقوله تعالى**: ﴿**فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ وذكر بعدها نعمة تصريف الرياح، كذلك ذكرت هذه السورة نعمة تسخير البحر ويزيد هنا ذكر ما في البحر من نعم أخرى حيث قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾12﴿﴾، وجاءت بعدها الآية لتعمم التسخير بعد تخصيصه فقال تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ الجاثية: 13.

ذكر في سورة "الزمر" عربية القرآن في قوله تعالى: ﴿**قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾28﴿﴾، وفي سوة "فصّلت" ذكر أيضًا عربية القرآن الكريم في الآيةً الثالثة، وفي سورة "الشورى" في الآية السابعة، وفي سورة "الزخرف" في الآية الثالثة، وفي سورة "الأحقاف" آية (12) .

تضمنت سورة "الزمر" قواعد إيمانية يتمثل فيها الأصل في الجزاء وهو مقابلة السيئة بالسيئة، حيث قال تعالى: ﴿**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾7﴿﴾ الزمر، وقد وافق هذا المعنى في سورة "غافر" قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾40﴿﴾، وفي سورة

فصلت: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾46﴿ ﴾، وفي سورة الشورى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾40﴿. كذلك تضمنت سورة "الزمر" قاعدة تبين موقف الإنسان الجاحد من نعم الله وبلائه، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾8﴿، وجاءت هذه القاعدة مرة أخرى في نفس السورة لتبين جهل هؤلاء الجاحدين بنعم الله، واعتقادهم بأنهم نالوا هذه النعم بسبب علمهم واجتهادهم، حيث قال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾49﴿، وجاءت هذه المعاني في سورة "فصلت" بصورة مفصلة، حيث قال تعالى: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾49﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾50﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾51﴿. وقاعده آخرى تبين سنة الله في خلقه وهي صرف الهداية إليه، فلا هادي إلا الله، وفي هذا المعنى يقول تعالى﴿: وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾36﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾37﴿ الزمر، في مقابل هذه المعاني جاء قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾30﴿ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾44﴿. وتأتي قاعدة أخرى تضع على الإنسان عبء الاختيار بين طريق الخير وطريق الضلال، وتعلن أن الرسول إنما عليه البلاغ فقط، فهو ليس عليهم بوكيل حيث قال تعالى في سورة الزمر: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾41﴿، وجاءت هذه القاعدة في سورة "فصلت" لتعلن أن الجزاء مقرون بالعمل، وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾46﴿، ثم جاءت في سورة "الجاثية" ولكنها خُتمت بالرجوع والمآب في النهاية إلى الله وحده فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾15﴿. وهكذا نرى أنّ القواعد الإيمانية التي ذُكرت في سورة "الزمر" قد ذُكرت في سور"الحواميم" بتفصيل يزيد في المعنى أو يؤكده أو يوضحه، فتكون كل قاعدة مناسبة لسياق السورة التي تواجدت بها.

× كذلك أجمل الحديث في سورة الزمر عن الأمم السابقة التي كذبت رسلها، حيث قال تعالى: ﴿**كَذَّبَ الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**﴾25﴿**فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾26﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ من كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾27﴿﴾ وقوله تعالى: ﴿**قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾50﴿**فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ**﴾51﴿﴾، وفي سور الحواميم نجد أنه فصّل الكلام عن الأمم السابقة وتكذيبهم لرسلهم فقد تكلّم في سورة "غافر" عن قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون وهامان، وموقف الرجل المؤمن ودفاعه عن موسى – عليه السلام – ووعظه لقومه، وكان ذلك من آية (23) حتى آية (46) . وفي سورة "فصّلت" تحدّثت عن قوم عاد وثمود من الآية (13) حتى آية (18) ، وأشارت إلى اختلاف قوم موسى – عليه السلام – في كتابهم في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ من رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ**﴾45﴿﴾. وفي سورة "الشورى" أشار إلى أصحاب الشرائع القديمة كنوح – عليه السلام – والأنبياء أولي العزم، وبيّن تفرق أمم هؤلاء الأنبياء السابقة في الآية (13، 14) . وفي سورة "الزخرف" تضمنت جانبًا موجزًا من قصة إبراهيم – عليه السلام – ، في الآية (26،27) حين تبرأ من مقالة آبائه وأجداده مؤثرًا الدليل والنظر السليم على تقليد الآباء في الباطل، كذلك ساق في هذه السورة قصة موسى مع فرعون في الآيات (46 – 56) ، وذلك في سياق يتناسب مع موضوع السورة، وأيضًا تضمنت هذه السورة ذكر جانب من قصة عيسى – عليه السلام – في الآيات (63 – 65) . وفي سورة "الدخان" ساق بعضًا من مشاهد قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون في الآية (17 – 33) بنظم وأحداث جديدة تختلف عمّا ذُكر في سورتي غافر والزخرف. وفي سورة "الجاثية" حذّر كفار قريش أن يكونوا كبني إسرائيل، وأمرهم باتباع شريعة القرآن وعدم اتباع أهواء الكافرين في (16 – 17) . وفي سورة "الأحقاف" ذكر قصة هود – عليه السلام – مع قومه، وبيّن عاقبة الشرك في (21 – 28) وفصّل فيها أجزاء من الأحداث لم تُذكر في سورة "فصلت".

وفي سورة "الزمر" ناقش تعالى أهل الشرك في عبادتهم للأصنام، حيث قال تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ من دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾38﴿**قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾39﴿**مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ**﴾40﴿

﴾، كذلك في الآيات (43 – 48) ناقشهم مع إثبات وحدانية الله وقدرته، وفي سورة "غافر" بيّن أن الكافرين هم المجادلون في آيات الله في قوله تعالى: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ**﴾4﴾﴾، وبيّن أن سبب هذا الجدال وهو الكبر الذي في صدورهم ﴿**إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ**﴾ غافر: 56، وفي الآيات (69 – 76) فيها تعجب من أحوال المجادلين وآرائهم الفاسدة، وبيّن نهاية جدال هؤلاء المجادلين وعقابهم في الآخرة، ثمّ بعد ذلك في الآيات (82 – 85) هدَّد المجادلين المتكبرين على رسلهم غرورًا منهم بدنياهم وأموالهم وأولادهم ببيان من هم أشد منهم وأكثر أموالًا وأولادًا، وكيف كانت نهايتهم. وفي سورة "فصلت" هدّد هؤلاء المجادلين بمثل ما حلّ بعاد وثمود في (13 – 18) ، ثمّ هدّدهم بعذاب يوم القيامة في الآية (19 – 25) ، ثمّ هدّد الملحدين في القرآن بالعذاب في الآيات (40 – 43) ، وجادلهم على اعتراضهم عليه في الآية (44 – 46) ، وفي ختام السورة ألزمهم الحجة، وردّ كيدهم في نحورهم، وبيّن لهم أن الزمن كفيل ببيان صدق الآيات، وأنهم كانوا على خطأ في مجادلتهم الباطلة في آيات الله. وفي سورة " الشورى" بيّن فيها حقيقة الرسالة المحمدية وهدفها، وتوعد الذين يحاجون في الله وآياته بالغضب عليهم من الله ولهم عذاب شديد في (13 – 19) . وفي سورة "الزخرف" هدّدهم بما حلّ من هلاك للأمم السابقة في (5 – 8) ، وقال تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**﴾9﴾﴾ وذيّل الآية بذكر صفات لله (**الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**) ثم بعد هذه الآية ذكر نعم الله علينا، ثم بعد ذلك ذكر في الآيات (15 – 25) ألوانًا من مفتريات المشركين المجادلين وأباطيلهم والرد عليها، ثمّ ردّ عليهم في إنكارهم النبوة وبيّن أن مواقفهم العجيبة هذه أساسها حب الدنيا، وتمسكهم بنعيمها الزائف، واعتقادهم أنها كل شيء وذلك في (26 – 39) ، ثم عرض أباطيل أخرى من مفترياتهم وردّ عليهم بردود أفحمتهم في (57 – 66) . وفي سورة "الدخان" هددهم بفرعون وقومه في (17 – 33) ، وناقش منكري البعث وردّ عليهم في (34 – 50) ، وفي سورة "الجاثية" توعد بالويل لكل أفاك أثيم، الذي يصر على الكفر بآيات الله ويتخذها هزوًا وذلك في (7 – 11) ، ثمّ يحذرهم أن يكونوا كبني إسرائيل، وأمرهم باتباع شريعة محمد – صلى الله عليه وسلم – في (16 – 19) ، ثمّ بيّن بعض سيئاتهم وناقشهم فيها، وبيّن جزاءهم عليها يوم القيامة في الآيات (23 – 35) ، وفي سورة "الأحقاف" من الآية الثالثة حتى السادسة ناقش الله تعالى الذين أشركوا به وأعرضوا عما أنذروا به، وأثبت وحدانيته تعالى ونفى الشركاء، وبيّن شبههم الواهية في نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – وناقشهم فيها، وبيّن صدق القرآن في الآيات (7 – 12) ، وهددهم بما حصل لقوم عاد في (21 – 28) ، ثمّ أثبت المعاد

والبعث في قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾33﴿﴾.

× كذلك تتشابه سورة "الزمر" مع "الحواميم" في ذكر الساعة ومواقف يوم الحساب، حيث قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾67﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾68﴿**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾69﴿﴾ الزمر، في المقابل نجد أن سور الحواميم تضمنت أيضًا ذكر الساعة ومشاهد القيامة بدءاً بعالم البرزخ الذي جاء ذكره في سورة غافر عند إعلان نهاية آل فرعون وهلاكهم وعذابهم، حيث قال تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾46﴿ ﴾ غافر، ثمّ يُصور لنا جانبًا من موقف الحساب قبل أن يقضي **الله** بين الناس، فهو يوم التلاق الذي يلتقي فيه الرسل – صلوات **الله** عليهم – بالناس، وتلتقي فيه الملائكة بالبشر أيضًا، ويُرى فيه أحوال الناس متقلبة، وهم بارزون وقد بلغت القلوب الحناجر كاظمين، ولا خلة ولا شفاعة للظالمين، كل ذلك يصوره لنا – سبحانه وتعالى – في سورة غافر في (15 – 20) ، وفي سورة "فصلت" في (30 – 32) تُخبرنا بنزول الملائكة على المؤمنين عند الموت يبشرونهم بالجنة، وفي وحدة القبر، وعند شدة الحساب، وفي سورة "الزخرف" في (69 – 70) تعرض مشهدًا آخر من مشاهد الحساب حيث يبدأ المشهد بوقوع الساعة وهم غافلون عنها، وتنقلب خلة الكافرين عداوة بينهم، والمؤمنون لا يصيبهم خوف ولا حزن حيث الجنة مأوى لهم ولأزواجهم، وكذلك في سورة " الدخان" يُذكَرُ وصف آخر للقيامة غير (يوم التلاق) ، (يوم الآزفة) اللذين ذُكرا في سورة غافر فيقول تعالى: ﴿**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾40﴿**يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ**﴾41﴿ **إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾42﴿﴾ الدخان، وفي سورة "الجاثية" تعرض مواقف أخرى من يوم القيامة، مصورة مشهد الأجيال الحاشدة، وقد تجمعت في ساحة العرض، وقد جثوا على الرّكب متميزين أمة أمة يرتقبون الحساب، وصحائف أعمالهم تنطق بالحق، ثم جاءت الآيات الأخرى تُفصّل مصير كل فريق في يوم القيامة وكل ذلك في الآيات (27 – 32) .

× ونرى في سورة "الزمر" مشهد نعيم المؤمنين المتقين في الجنة كذلك في سور "الحواميم"، ففي سورة "الزمر" في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا**

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾17﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾18﴿ ابتدأ بالبشرى للذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها بالثواب من الله على ألسنة الرسل الكرام، ووصفهم بأنهم أصحاب العقول السليمة، ثم وَصَفَ لهم بعض النعيم في الجنة فقال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾20﴿ وقوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾61﴿، وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾73﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾74﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾75﴿، كذلك في سورة "الشورى" قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾22﴿، وفي سورة "الزخرف" قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾71﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾72﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾73﴿، وجاءت سورة "الدّخان" لتستكمل نعيم أهل الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾51﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾52﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾53﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾54﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾55﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾56﴿فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾57﴿، وفي سورة "الجاثية" يُجمل الله نعيم أهل الجنة فيقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾30﴿.

× كذلك نرى الجزء الآخر من مشاهد يوم القيامة وهي النار وعذاب المشركين فيها، والملاحظ أنّ هذه المشاهد كثيرة بالنسبة لمشاهد الجنة؛ وذلك لأن الدعوة كانت آنذاك في عهدها المكي فهي تتناسب مع مواقف الكافرين من هذه الدعوة، ففيها من الترهيب ما فيها، ففي سورة "الزمر" قال تعالى يهدد الكافرين: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾15﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ

مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾16﴿، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾19﴿ وقال: ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾26﴿ وقال: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾39﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾40﴿ وقال: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾60﴿ وقال: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾71﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾72﴿، في المقابل نرى أن الحواميم تضمنت مشاهد كثيرة ومفصلة من أهوال يوم القيامة، فقد وصفت لنا سورة "غافر" في الآيات (10 – 12) مشهدًا لأصحاب النار حين يشتد بهم العذاب فلا يطيقونه، ويطلبون من الله الرجعة إلى الدنيا مرة أخرى، كذلك تصور لنا مشهدًا آخر في النار في الآيات (47 – 50) فنسمع حوارًا بين الأتباع والمتبوعين يُجادل ويلوم بعضهم بعضاً، ونسمع حوارًا بين أهل النار وخزنة جهنم يطلبون تخفيف العذاب فلا يجابون، ثمّ يأتي بمشهد آخر يصور فيه جزاء المجادلين في آيات الله مبينًا عظيم جرمهم في التكذيب، فاستحقوا عذاب النار بكل ما فيه من التحقير والإهانة وذلك في الآيات (70 – 76) ، وفي سورة "فصلت" في الآيات (19 – 25) وصف لحوار آخر لأهل النار حوار مع أعضاء أجساد الكافرين التي شهدت عليهم في يوم القيامة، وذكرتهم بأن الله الذي أنطقها بالشهادة عليهم هو الذي خلقها أول مرة، ويذكرهم التعبير القرآني بأنهم كانوا يظنون أن الله لا يراهم، وهذا الظن الجاهل هو الذي أرداهم في النار وقد خسروا كل شيء، وفي آيات أخرى من هذه السورة الآيتان (28 – 29) ذكرتا أن النار دار خلد لهؤلاء الكافرين، وصورتا لنا مشهدًا للكافرين وهم يطلبون قرناءهم الذين أضلوهم من الإنس والجن ليجعلوهم تحت أقدامهم وأسفل منهم، وهم جميعًا في دار الخلد نار جهنم، كذلك في سياق آخر من هذه السورة يعرض مشهد من مشاهد يوم القيامة يتخلله حوار آخر قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾47﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾48﴿ ﴾ فصلت، كذلك في سورة "الشورى" فيها وعيد للكافرين بالعذاب في آية (21) ، ثم

عرض صورة لهؤلاء الكافرين وهم خائفون، قال تعالى: ﴿**تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ**﴾ الشورى: 22، وفي مشهد آخر من هذه السورة يصور لنا مشهد ذل الكافرين وهم يُعرضون على النار قال تعالى: ﴿**وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ**﴾44﴿**وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ**﴾45﴿ ، وفي سورة "الزخرف" في (38 – 39) نرى مشهدًا آخر يجمع بين الكافر الذي كان يعشو عن ذكر الرّحمن وقرينه الذي يصده عن السبيل، ويزين له طرق الضلالة، ومشهدًا آخر يُجسد الحالة النفسية لهؤلاء الكفار، وقد غشي نفوسهم اليأس، وأنهكت قواهم النار، ليدخلوا في حوار جديد مع خزنة جهنم قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾74﴿**لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾75﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ**﴾76﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ**﴾77﴿**لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾78﴿ الزخرف، وفي سورة "الدخان" يُعرض مشهد آخر يصف فيه طعام أهل النار، ويُعرض ما هم فيه من الذل والإهانة قال تعالى: ﴿**إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ**﴾43﴿**طَعَامُ الْأَثِيمِ**﴾44﴿**كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ**﴾45﴿**كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾46﴿**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ**﴾47﴿**ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ**﴾48﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾49﴿**إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ**﴾50﴿، وفي بداية سورة " الجاثية" الآيات (7 – 10) توعد الله تعالى كثير الآثام بالويل الذي هو واد في جهنم ، وبشره بالعذاب الأليم في جهنم، بيّن أن ما كانوا يكسبونه في الدنيا لن ينفعهم في الآخرة، كذلك شركاؤهم الذين اتخذوهم أولياء لن تنفعهم أيضًا، وفي السورة نفسها مشهد آخر من مشاهد القيامة يبين إحاطة العذاب بالكافرين جزاء ما عملوا، ومخاطبتهم خطاب توبيخ وتحقير وذلك في الآيات (33 – 37) ، وفي سورة "الأحقاف" يُعرض مشهد ليوم الحساب يُعرض فيه الكافرون على النّار، ويُعلن لهم سبب عرضهم على النّار والسوق إليها قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ**﴾20﴿ ثمّ مشهد آخر لعرضهم على النار يبين اعترافهم باستحقاقهم العذاب قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾34﴿. وهكذا كانت مشاهد القيامة في سور الحواميم مفصّلة تفصيلًا دقيقًا لما أُجمل في سورة "الزمر".

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وهي:

1. أنّ عَصَب السّورة كلَّه في اسمها، فكأن هذا الاسم (شيفرة) لبنيانها كلِّه! ، واسمها يدل على مقصودها وموضوعها الأساسي.

2. ترتبط سورة الزمر مع سور الحواميم ارتباطاً كبيراً، فهناك تناسب بين اسم سورة الزمر وبين أسماء سور الحواميم.

3. يتماثل مطلع سورة الزمر مع مطالع الحواميم في ذكر تنزيل الكتاب وأوصافه مع اختلاف في النّظم، وعلى سبيل التحديد لتلك الأوصاف.

4. تعانق سورة الزمر مع سورة غافر واتحادها من خلال بيان مناسبة نهاية سورة الزمر مع بداية سورة غافر، وكذلك تعانق أطراف سور الحواميم مع بعضها بعضاً. وهذا الترابط من أوكد علاقات الربط التي تجعل النص القرآني كالكلمة الواحدة.

5. تتناسب خاتمة سورة الزمر مع خواتيم سور الحواميم فتصبح كاللحمة الواحدة.

6. يتناسب مضمون سورة الزّمر ومواضيعها مع مضمون سور الحواميم ومواضيعها، فما أُجمل هناك فصل هنا والعكس، فتتداخل مواضيعها بحيث إن كل موضوع يتناسب مع النظم والسياق الوارد في السورة، وتظهر سورة الزّمر وكأنّها أخت لسور الحواميم، وبهذا نعرف مبرر أُبي بن كعب في مصحفه حين اعتبر أن سورة "الزمر" تبدأ بـ (حم) .

الهوامش:

1. انظر: محمد بن بهادر بن عبد الله، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعرفة، بيروت، 1391م) ، (1/ 193) / الإتقان في علوم القرآن، جلال الدّين السّيوطي، تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البغا (دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط5، 1422هـ، 2002م) ، (1/ 81، 83) . أبو عبد الله الزنجاني ، تاريخ القرآن، تقديم: الأستاذ أحمد أمين (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط3، 1388هـ، ـ1969م) ، (ص52، 59، 77، 78) نقلًا عن كتاب الفهرست لابن النديم.
2. انظر: السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (1/ 201) نقلًا عن أبي أشتة في كتاب المصاحف/ وكذلك جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب الآيات والسّور، تخريج وتحقيق: أحمد فتحي عبد الرّحمن ، (دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1، 2008م) ، (ص162) .
3. راجع: محمد محمد أبو موسى، الزّمر – محمد وعلاقتهما بآل حم دراسة في أسرار البيان (مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1433هـ، 2012م) .
4. سمّيت بهذا الاسم في جميع التفاسير وكتب السّنة. ولم يذكرها السيوطي في الإتقان في عداد أسماء السور ذات أكثر من اسم.
5. انظر: أبو عبدالله محمد البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، (دار الطوق النجاة، ط1، 1422ه) ، (6/ 125) .
6. انظر: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي المسمى (الجامع الكبير) ، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م) ، (5/ 286ح3236) .
7. ذكر هذا الاسم االقرطبي في تفسيره المسمى (الجامع لأحكام القرآن) ، تحقيق: محمد إبراهيم حفناوي، محمود حامد عثمان (دار الحديث، القاهرة، 1423هـ، 2002م) ، (مج 8ج23/ 197) / الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار (ط2، 1406هـ، 1986م) (ص281) / برهان الدين البقاعي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق المهدي (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 1432ه، 2011م) (6/ 412) / جلال الدين السيوطي في الإتقان1/ 174.
8. انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (6/ 412) .
9. انظر: أبو عمرو الداني، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد (مركز

المخطوطات والتراث، الكويت، ط1، 1404هـ، 1993م) ، (ص 216) / برهان الدين البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق: د. عبد السميع محمد أحمد حسنين، (مكتبة المعارف، الرياض، المملكة السعودية، ط1، 1408هـ، 1987م) ، (2/ 422) .

10. انظر: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان) ، (5/ 113) / الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (مج8ج23/ 197) / البرهان للزركشي (1/ 193) ، وقد عدّها الزركشي قي البرهان (1/ 193) في ذكر ما نزل من القرآن بمكة. ورجح محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، (دار سحنون للنشر، تونس، 1997م) ، (مج9ج23/ 312) أنّها مكية.

11. أخرجه الترمذي، دار غرب، في كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له (5/ 41رقم 2920) . وأخرجه في كتاب الدعوات، باب: ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، باب منه (5/ 410 رقم 3405) . وصححه الألباني. وأخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة، باب: الفضل في قراءة تبارك الذي بيده الملك (9/ 263رقم 10480) بلفظ: " وَكَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالزُّمَرَ".

12. انظر: البقاعي، مصاعد النّظر (2/ 423) / البقاعي، نظم الدرر (6/ 412) / سيد قطب، في ظلال القرآن (دار الشروق، القاهرة، ط17، 1412هـ) (5/ 3033) / محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير (دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1302هـ، 1981م) ، (3/ 68) / سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط7، 1430هـ، 2009م) ، (5/ 322 – 333) .

13. انظر: أبو اسحاق السّري بن سهل المعروف بالزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (عالم الكتب، بيروت، ط8، 1408هـ، 1988م) ، (4/ 365) / أبو حيّان الأندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض (دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م) ، (7/ 204) .

14. أبو حيّان، البحر المحيط (7/ 429) .

15. أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن (1/ 59) .

16. هبة الله بن سلامة بن نصر المقري، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان (المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1404هـ) ، (ص 152) .

17. انظر: السيوطي، تناسق الدرر في تناسب الآيات والسّور، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن (دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1، 2008م) ، (ص163) / السيوطي، الإتقان (2/ 993) .

18. انظر: محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم (دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1390هـ، 1970م) ، (ص324) .

19. الروضات: هي البقاع التي تكون فيها صنوف النبات من رياحين البادية وغير ذلك، ويكون فيها أنواع النور والزهر، فشبه حسنهن بآل حم. القاسم بن سلام، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان (دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1396هـ) ، (4/ 94) .

20. قال ابن الأثير: يقال دمث المكان دمثًا: إذا لان وسهل. أبو السعادات المبارك ابن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناجي، طاهر أحمد الزاوي (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان) ، (2/ 132) .

21. أي أُعجب بهن، وأستلذ قراءتهن، وأتتبع محاسنهن، ومنه قيل: منظر أنيق، إذا كان حسنًا معجبًا. انظر: القاسم بن سلام، غريب الحديث، (4/ 94) / ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (1/ 76) .

22. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن مسعود (6/ 153 رقم30285) بهذا الإسناد الصحيح، فرجاله ثقات/ وأخرجه أبو عبيد في كتاب الفضائل، بسنده عن ابن مسعود أيضًا (1/ 255رقم 407) / وكذلك السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط1، 1424هـ، 2003م) ، (7/ 268) عن ابن مسعود ولم يرفعوه، ونقله البقاعي في مصاعد النظر (2/ 436) عن أبي عبيد.

23. أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، باب تفسير سورة حم المؤمن 2/ 474 رقم (3634) ، بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود، فذكره موقوفاً عليه، وقال: هذا هو الصواب/ والخبر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 100 رقم 2243) بنفس الإسناد ورجاله ثقات، ولفظه عندهما: آل حم/ وذكره ابن كثير في تفسيره (دار إحياء التراث، بيروت، 1388هـ، 1969م) ، (4/ 69) / وكذلك السيوطي في الدر المنثور 13/ 6 – 7 ولم يرفعاه، ونسبه السيوطي إلى أبي عبيد، وابن الضريس، وابن المنذر، والحاكم، والبيهقي. والديباج هو الثياب المُتَّخذة من الإبْرِيسَم فارسي

معرّب (ديباري) ، وهو في الأصل النوع الفاخر من الحرير انظر: ابن سلام، غريب الحديث (4/ 242) ، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (دار صادر، بيروت، ط1) ، (2/ 262) مادة دبج، جلال الدين السيوطي، الإتقان (1/ 180) .

24. انظر: سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، سنن أبي داود مع حاشية عون المعبود، عني بنشره الحاج حسن إيراني (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان) ، (2/ 338) .

25. هو المهلب بن أبي صفرة، واسمه ظالم بن سارق بن صبح الأزدي، أبو سعيد البصري، روى عن البراء بن عازب، مولده عام الفتح أو قبله، ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (5/ 451 – 452) ، ووثقه ابن معين، توفي سنة82هـ، وقيل18. انظر: يوسف بن الزكي أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ، 1980م) ، (5/ 203 برقم 1004) / ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب (دار الفكر، بيروت، ط1، 1404هـ، 1984م) ، (10/ 293 برقم 578) / علي بن نايف الشحود، الخلاصة في علم الجرح والتعديل (مكتبة المنارة، ط2، 1429هـ، 2008م) ، (ص389) .

26. أي إن بيتكم العدو، أي قصدوكم بالقتل ليلاً، من غير علم، واختلطتم معهم. انظر: أبو داود، سنن أبي داود مع حاشية عون المعبود (2/ 338) .

27. قال الخطابي: معناه الخبر ولو كان بمعنى الدعاء لكان مجزومًا أي لا ينصروا، وإنما هو إخبار كأنه قال والله إنهم لا ينصرون. وقال الشوكاني: هذا اللفظ فيه التفاؤل بعدم انتصار الخصم مع حصول الغرض بالشعار. فالمراد أنهم جعلوا العلامة بينهم لمعرفة بعضهم بعضًا في ظلمة الليل هو التكلم عند هجوم العدو عليهم بهذا اللفظ، ولئلا يقع بعضهم على بعض، وأيضًا من باب إخافة العدو وإرهابه. انظر: أبو داود، سنن أبي داود مع حاشية عون المعبود (2/ 338) / أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات (دار الكتب العلمية، بيروت، عنيت بنشره: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية) ، (3/ 72) / محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار (دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ، 1982م) ، (8/ 67 – 68) / منصور البهتوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: هلال مصيلحي هلال (دار الفكر، بيروت، 1402هـ) ، (3/ 64 – 65) .

28. رواه القاسم بن سلام، أبو عبيد، في فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، محسن خرابة، وفاء تقي الدين (دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1420هـ) ، (1/ 254 برقم 405) / وذكره في غريب الحديث (4/ 95) بهذا الإسناد/ وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (5/

233 رقم 9467) / وأبو داود في سننه (2/ 338 رقم 2599) / والترمذي3 في سننه (3/ 307 رقم 1682) ، ثلاثتهم في باب: ما جاء في الشعار، وزاد أبو داود باب الرجل ينادي في الشعار/ وأخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 107) وقال صحيح، قال والرجل الذي لم يسمه المهلب هو البراء/ والبيهقي في السنن6/ 361 – 362 من طريق سفيان الثوري عن أبي إسحاق، به، ولفظه عند الترمذي: "إن بيتكم العدو فقولوا حم لا ينصرون"، وهذا إسناد صحيح، فإن سفيان الثوري أثبت الناس في أبي إسحاق كما قال المزي في تهذيب الكمال (22/ 109) / وقد قرن عبد الرزاق معمر بالثوري في سنده/ ونسبه ابن كثير في تفسيره (4/ 69) لأبي داود والترمذي، وقال: وهذا إسناد صحيح. وأخرجه كثيرون من طرق أخرى، ولكن هذا أصح الإسناد.

29. القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، غريب الحديث، (4/ 95 – 96) .

30. أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون (دار الفكر، بيروت، ط 1399هـ – 1979م) ، (5/ 423)

31. انظر: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي، مراجعة: د. عبد اللطيف محمد الخطيب (التراث العربي، الكويت، ط1، 1422هـ، 2001م) ، (9/ 295) / ابن منظور، لسان العرب (1/ 755– مادة نسب) / إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث مجمّع اللغة العربية (ط4، 1425هـ، 2004م) ، (2/ 916) باب النون (نسب) .

32. البقاعي، نظم الدرر (1/ 5) .

33. المرجع السابق (1/ 5) / أحمد القاسم، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، (ط1، 1399هـ،1979م) ، (ص 31) .

34. البقاعي، نظم الدرر 1/ 5.

35. انظر: د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي (دار القلم، دمشق، ط3، 1421هـ، 2000م) ، (ص 58) .

36. الزّركشي، البرهان في علوم القرآن (1/ 36) / ونقل عن البرهان البقاعي في نظم الدرر (1/ 5) / وتابعه السيوطي في الإتقان (2/ 976) .

37. اعتبر الفراهي أنّ التناسب جزء من النظام، فالنظام عنده شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء، والمراد منه أن تكون السورة كاملاً واحداً، ثم تكون ذات مناسبة

بالسورة السابقة أو اللاحقة أو بالتي قبلها أو بعدها على بعد ما، وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلامًا واحدًا، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر. انظر: عبد الحميد الفراهي، دلائل النظام (الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، 1388هـ) ، (ص75) .

38. والمقصود بالوحدة الموضوعية هي بيان اتحاد سورة من القرآن الكريم في موضوع رئيس ترد إليه سائر الموضوعات الجزئية التي قد تتناولها، بحيث تبدو السورة كلها وحدة واحدة، يرد عجزها إلى صدرها، وتتفق مقدمتها ومؤخرتها. انظر: عادل أبو العلاء، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد (129) سنة 1425هـ) ، (1/ 26) .

39. أخرج الإمام البخاري في كتاب التفسير من صحيحه، عن عبد الله بن مسعود_رضي الله عنه_ قال: وَسَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ الدُّخَانِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – دَعَا قُرَيْشًا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبْطَئُوا عَلَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ فَحَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْجُلُودَ حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ دُخَانًا مِنْ الْجُوعِ قَالَ اللَّهُ تعالى:﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿قَالَ فَدَعَوْا﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ أَنَّى لَهُمْ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿أَفَيُكْشَفُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ فَكُشِفَ ثُمَّ عَادُوا فِي كُفْرِهِمْ فَأَخَذَهُمْ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾**. صحيح البخاري، باب (قوله وما أنا من المتكلفين) (6/ 124 حديث رقم4809) .

40. أخرج مسلم في صحيحه عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاريّ قال اطَّلع النبي _ صلى الله عليه وسلم_علينا ونحن نتذاكر فقال: "ما تذاكرون". قالوا نذكر الساعة. قال: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات". فذكر الدّخان والدّجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليها السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم. صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (8/ 178حديث رقم7467) .

41. السيوطي، تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور (ص162) .

42. انظر: فاضل السّمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (دار عمّار، عمّان، الأردن، ط1،

1429هـ، 2008م) ، (ص62) .

43. انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق: سعيد الفلاح (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م) ، (1/ 286) .

44. فاضل السّمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (ص66) .

45. انظر: محمد الطّاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، (دار سحنون، تونس، 1997م) ، (مج9ج23/ 314) .

46. انظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران (مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدّه) ، (1/ 133) . إشراف: بكر أبو زيد.

47. انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (23/ 314) .

48. إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، روح البيان في تفسير القرآن، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1) ، (8/ 112) .

49. انظر: السمرائي، بلاغة الكلمة (ص63 – 64) .

50. تناسب الأطراف، يعني: وصل الطرف الأخير بطرف الكلام في أوله. انظر: أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، المكتبة الشاملة، ومصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي: http:// alhazme. net، وانظر: القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي (دار إحياء علوم الدين، بيروت، ط4، 1419هـ، 1998م) ، (ص324) .

51. انظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان، (2/ 985) .

52. انظر: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: سعيد الفلاح (دار ابن الجوزي، ط1، محرم 1428هـ) ، (ص 156 – 159) / محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض (دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1422ه، 2001م) ، (7/ 429) / شهاب الدين، محمود الألوسي، روح المعاني (دار إحياء التراث العربي، بيروت)

، (24/ 39) / عبد الله محمد الصديق الغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن (طبعة مكتبة القاهرة، مصر) ، (ص 94 – 95) .

53. انظر: ابن الزبير الثقفي، البرهان في تناسب السور (ص 158 – 159) .

54. انظر: الألوسي، روح المعاني (25/ 11) / الغماري، جواهر البيان (ص95 – 96) .

55. انظر: ابن الزبير الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن (ص162) / ،الغماري، جواهر البيان (ص97) .

56. انظر: أبو حيان، البحر المحيط (8/ 33) / الغماري، جواهر البيان (ص97) .

57. انظر: الغماري، جواهر البيان (ص98) .

58. الغماري، جواهر البيان (ص99) .

59. انظر: فخر الدين الرّازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، 1990م) ، (مج14ج27/ 22) . خ

60. ذكر الفعل "قل" في سورة غافر آية66، فصلت آية6،9، 44، 52، الشورى آية 23، الزخرف آية 81، الجاثية آية 14، 26، الأحقاف آية 4، 8، 9، 10.

61. ستأتي الشواهد على ذلك في الكلام المقبل في هذا المبحث.

62. انظر: أبو الطيّب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنَّوجي، عني بطبعه وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، (المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا ، بَيروت 1412هـ، 1992م) (12/ 105) .

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث مجمَع اللغة العربية، (ط4، 1425هـ، 2004م) . ج2
3. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ) . ج6
4. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك ابن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود الطناجي، طاهر الزاوي (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان) . ج2
5. ابن الزبير الثقفي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، (دار ابن الجوزي، ط1، محرم 1428هـ) .
6. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، (دار الفكر،ط1، 1395هـ، 1975م) . ج5
7. ابن حجر العسقلاني،أحمد بن علي، تهذيب التهذيب (دار الفكر، بيروت، ط1، 1404هـ، 1984م) . ج10
8. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير (تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، (دار سحنون للنشر، تونس، 1997م) . مج9ج23
9. ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، (دار الفكر، بيروت، ط 1399هـ – 1979م) . ج5
10. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، (دار عالم الفوائد للنشر، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدّه) . ج1
11. ابن كثير، الحافظ عماد الدين، أبو الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، (دار إحياء التراث، بيروت، 1388هـ، 1969م) . ج1ج4
12. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، ط1) . ج1ج2
13. أبو حيّان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، (دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م) .

ج7ج8

14. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستياني، سنن أبي داود مع حاشية المعبود، (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان) . ج2

15. أبو عبيد، القاسم بن سلام البغدادي، فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، محسن خرابة، وفاء تقي الدين، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1420هـ) .

16. أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي، غريب الحديث، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1396هـ) . ج4

17. أبو موسى، محمد محمد، الزّمر – محمد وعلاقتهما بآل حم دراسة في أسرار البيان (مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1433هـ، 2012م) .

18. الألوسي، شهاب الدين، السيد محمود، روح المعاني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت) . ج24 ج25ج26

19. البخاري، أبو عبدالله محمد، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، (دار الطوق النجاة، ط1، 1422ه) . ج6

20. البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين إبراهيم بن عمر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق: د. عبد السميع محمد أحمد حسنين، (مكتبة المعارف، الرياض، المملكة السعودية، ط1، 1408هـ، 1987م) . ج2

21. البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق المهدي (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 1432ه، 2011م) . ج1ج6ج7

22. البقاعي، مصاعد النّظر (2/ 423) / البقاعي، نظم الدرر (6/ 412) .

23. البهتوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، (دار الفكر، بيروت، 1402هـ) . ج3

24. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، وفي ذيله الجوهر النقي للعلامة علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، (مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بالهند، حيدر آباد، 1352هـ) . ج4ج6

25. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي المسمى (الجامع الكبير) ، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م) . ج3ج5

26. الحازمي، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد، شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، المكتبة الشاملة، ومصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي على الرابط التالي: http:// alhazme. net

27. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م) . ج2

28. حجازي، محمد محمود، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، (دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1390هـ، 1970م) .

29. حوى، سعيد، الأساس في التفسير، (دار السلام، القاهرة، ط7، 1430هـ، 2009م) . ج5

30. الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن (دار الفكر العربي، القاهرة) . ج13

31. الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، روح البيان في تفسير القرآن، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1) . ج8

32. الدّاني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد (مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط1، 1404هـ، 1993م) .

33. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، 1990م) . مج14ج27

34. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي، مراجعة: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، (التراث العربي، الكويت، ط1، 1422هـ، 2001م) . ج9

35. الزّجاج، أبو اسحاق السّري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (عالم الكتب، بيروت، ط8، 1408هـ، 1988م) . ج4

36. الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعرفة، بيروت، 1391م) . ج1

37. الزنجاني، أبو عبد الله، تاريخ القرآن، تقديم: الأستاذ أحمد أمين (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط3، 1388هـ، 1969م) .

38. السمرائي، فاضل، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (دار عمّار، عمّان، الأردن، ط1، 1429هـ، 2008م) .

39. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، جلال الدّين عبد الرحمن، تقديم وتعليق: د. مصطفى

ديب البغا (دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط5، 1422هـ، 2002م) . ج1، ج2

40. السيوطي، جلال الدين عبد الرّحمن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط1، 1424هـ، 2003م) . ج7

41. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تناسق الدرر في تناسب الآيات والسّور، تخريج وتحقيق: أحمد فتحي عبد الرّحمن، (دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1، 2008م)

42. السيوطي، جلال الدين عبد الرّحمن، تناسق الدرر قي تناسب الآيات والسّور، تخريج وتحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن، (دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1، 2008م) .

43. الشحود، علي بن نايف، الخلاصة في علم الجرح والتعديل، (مكتبة المنارة، ط2، 1429هـ، 2008م) .

44. الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار (دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ، 1982م) . ج8

45. الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، (دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1302هـ، 1981م) . ج3

46. عادل بن محمد أبو العلاء، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم (الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد (129) سنة 1425هـ) . ج1

47. الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق: سعيد الفلاح، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م) . ج1

48. الغماري، عبد الله محمد الصديق، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، (طبعة مكتبة القاهرة، مصر) .

49. الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، (الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، 1388هـ) .

50. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار (ط2، 1406هـ، 1986م) .

51. القاسم، أحمد، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، (ط1، 139هـ،1979م).

52. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، تفسير القرطبي المسمّى (الجامع لأحكام القرآن) ، تحقيق: محمد إبراهيم حفناوي، محمود حامد عثمان (دار الحديث، القاهرة، 1423هـ، 2002م) . مج 8ج23

53. القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: بهيج غزاوي (دار إحياء علوم الدين، بيروت، ط4، 1419هـ، 1998م) .

54. قطب، سيد، في ظلال القرآن، (دار الشروق، القاهرة، ط17، 1412هـ، 1992م) . ج5

55. القِنَّوجي، أبو الطيّب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، ، (المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا ، بَيروت 1412هـ، 1992م) . ج12

56. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان) . ج5

57. المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج، تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ، 1980م) . ج5ج22

58. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، (دار الجيل، بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت) . ج8

59. مسلم، د. مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، (دار القلم، دمشق، ط3، 1421هـ) .

60. المقري، هبة الله بن سلامة بن نصر، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1404هـ) .

61. النديم، محمد بن اسحاق أبو الفرج، الفهرست، (دار المعرفة، بيروت، 1398هـ، 1978م) .

62. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، 1991م) . ج9

63. النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، (دار الكتب العلمية، بيروت، عنيت بنشره والتعليق عليه: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية) . ج3